دار الإعلام العربية
الطيب حسين، محمد عبد العزيز

سيرته ﷺ في حياتنا المعاصرة

تكتسب السيرة النبوية أهمية بالغة، كونها التبيان العملي لحياة أفضل خلق الله ﷺ، فهي بمثابة ترجمة لما كان يحياه نبينا الكريم ﷺ، حيث تلقى منه الرسالة ووعاها على أحق ما يكون، وكانت بمثابة تطبيق عملي للفهم المستقيم الشامل للدين في هذه الحياة، كونها موجهة بالوحي، منطلقة مما يتلقاه الرسول الكريم ﷺ، حتى تمت الرسالة.. فالسيرة تتعدى التاريخ لحياة النبي ﷺ، لتجسد رسالة الإسلام واقعا حيا في كل العصور، يتشربها كل مسلم ويتفاعلون من خلالها في حياتهم المعاصرة.

نبدأ مع د. محمد عبد الناصر العنتبلي عضو هيئة التدريس في كلية اللغة العربية للبنين بجرجا جامعة الأزهر، والذي يقول: تقدم لنا السيرة النبوية العطرة نموذجا (عمليا) وتطبيقا حيا للقيم والمثل العليا، من خلال تتبع حياة النبي ﷺ، كما تقدم لنا نموذجا (بشريا) بلغ أرقى درجات (الكمال البشري) بما اختص الله تعالى به صاحبها -عليه الصلاة والسلام- من عصمة وتأييد، ولذلك استحقت السيرة النبوية أن تكون النموذج العملي للسلوك الإسلامي.

حقيقة الإسلام وسلوك أهله

وتابع د.العنتبلي: وها أنا ذا أقولها بصوت مرتفع: (من أراد أن يتعرف على حقيقة الإسلام وسلوك أهله، عليه أن يقرأ في سيرة النبي العدنان محمد ﷺ؛ ليرى بقلبه قبل عينيه كيف يتم التعامل مع الآخر؟ فعندما أراد النبي ﷺ أن يدعو زعماء وأمراء وملوك

د. محمد العنتبلي: سيرته ﷺ النموذج العملي للإسلام

العالم للحوار والتواصل والتعريف بدعوة الإسلام ركز في خطاباته على قيم السلام وحرية الاعتقاد، فكتب رسالة إلى (جريج بن متى الملقب بالمقوقس ملك مصر والإسكندرية)، نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط.. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤)، واختار لحمل هذه الرسالة الصحابي المتحدث (حاطب بن أبي بلتعة ﷺ)، الذي أجاد في كلامه مع المقوقس إجادة تستحق الإعجاب البالغ، فإنه تربى في مدرسة النبوة.

وختاما فإن السيرة النبوية العطرة لخير الأنام علية أفضل الصلوات وأتم التسليمات هي القدوة الأولى والنموذج الأحق بالدراسة والاقتداء، بما تحمله من نظم ومفاهيم حياتية تشرح كل جزئية في بناء الفرد والمجتمع، وتسهم في تقدم الأمم ورقيها، فلابد من الاهتمام بالسيرة النبوية بكل جوانبها والتعامل معها برؤية شاملة متلاحمة ومتكاملة، فهي النموذج العملي للسلوك الإسلامي منذ مولد النبي ﷺ وإلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

سجل حافل

أما الدكتور أحمد كريمة أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر الشريف، فيقول: السيرة النبوية سجل حافل للحياة التطبيقية العملية لرسول الله ﷺ، فهي أكبر معلم ومؤدب ومهذب للفرد المسلم والأمة المسلمة، لقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (الحشر:٧)، وقوله أيضا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١)، فالسيرة النبوية التي ترتبط برسول الله ﷺ منذ ولادته، حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، كلها توضح كيف كان النبي ﷺ المثال الكامل في الجوانب الخلقية والخلقية والتشريعية، وبتحليل كل موقف وحدث في سيرته العطرة، فهي زاد لمن أراد أن يتمثل القيم الأخلاقية السلوكية لهذا النبي ﷺ، جوانب متعددة متنوعة ولذلك أحسن بعض العلماء حينما ألفوا فقه السيرة النبوية، وهذا ما تهدف إليه السيرة العطرة، أنها تقدم للمسلمين ليس على أنها مجرد تاريخ، لكنها فقه عملي لرسول الله ﷺ، في تربيته للبشرية وتهذيبه للإنسانية، فما من موقف أو حدث إلا فيه العبر والعظات من الرسول ﷺ، وهي عظات وعبر كثيرة.

وأكد أستاذ الفقه في جامعة الأزهر، أنه يجب إخراج السيرة النبوية إلى الحياة العملية التطبيقية، من صدق العبادات وإخلاص العقيدة وحسن المعاملات وطهارة السلوكيات، وهذه هي الدعائم الكبرى للسيرة النبوية العطرة في تقويم السلوكيات، ويجب أن تكون السيرة النبوية في العملية التعليمية والدعوية والإعلامية، منهجا تربويا يستضاء به في ترسيخ التربية الصحيحة في المسلم، ففي الجانب العقائدي يبتعد عن هرطقات الفرق والتيارات من مجادلات سقيمة، وليتأسى بالنبي ﷺ حينما بسط عرض الجوانب العقائدية للناس على السواء، الخواص والعوام، بل إنه لخص الإسلام في جملة قصيرة المبنى غزيرة المعنى، فعن أبي عمرو سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال: (قل آمنت بالله ثم استقم) رواه مسلم في صحيحه.

وذكر أنه بالنسبة للعبادات، فكان ﷺ

د. عبداللطيف: تخاطب القلوب والعقول وفيها صلاح المجتمع.

د. كريمة: أكبر معلم ومؤدب ومهذب للفرد والأمة المسلمة.

ينهى عن الإفراط والغلو، ويغرس في نفوس الناس أداء الصلوات بخشوع وإقبال على الله عز وجل، وأداء الزكوات بسخاء نفس، وصوم رمضان صياما حقيقيا ينبع من الوجدان، والحج كذلك رحلة مع الله تعالى وإليه بمثابة الهدنة من تبعات مشاغل الحياة الدنيا، وكان في معاملاته ﷺ اليسر والسماحة، ولله در ابن القيم رحمه الله، حينما نقل السيرة النبوية من تاريخ إلى زاد المعاد، فقدم للنفس البشرية النبي ﷺ في شخصيته المثالية، وصدقته السيدة خديجة رضي الله عنها حينما قالت: (فوالله لا يخزيك الله أبدا: إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)، مشيرا إلى أن هذه السمات، لو أن مسلما تخلق بها، ولو أن المجتمع المسلم عمل بها، لعاشوا سعداء ولماتوا أعزاء، فيوم أن يخرج العلماء والدعاة السيرة من الجانب التأريخي إلى الجوانب العملية، تظهر الشخصية النبوية المحمدية للإنسانية حقا وصدقا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، فيجب الغوص في كل تفاصيلها، كجانب فقه آخاذ، حتى يهتدي الناس إلى صراط الله المستقيم.

دين الدنيا والآخرة

وفي السياق ذاته، يقول الشيخ شوقي عبد اللطيف، وكيل وزارة الأوقاف المصرية الأسبق، إن الإسلام هو دين الحياة ودين العقبى معا أي الآخرة، والإسلام به صلاح المجتمع، فهو صالح لكل زمان ومكان، فهو يخاطب القلوب والعقول، ويعمل من أجل سعادة الإنسان أو البشرية في الدنيا والآخرة معا، اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، ونلاحظ أن القرآن الكريم فيه ما يمثل (٨٠٪) من آياته كلها تتحدث عن النظم السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية، فهو دين الدنيا والآخرة، وهكذا كان نبينا صلوات الله وسلامه عليه، يعمل للاثنين معا، فنجده عابدا بالليل قانتا خاشعا، وفي النهار يعمل على الكسب الحلال، وأكد الرسول ﷺ على قيمة العمل الدنيوي والأخروي، اقتباسا من القرآن لأن القرآن دائما ما يقرن العمل بالصلاح والتقوى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ (العصر: ١-٣).

وتابع: أن العمل الصالح هو العمل للدنيا والآخرة معا، لهذا كان الرسول ﷺ يؤكد حقيقة أخبر بها القرآن وأكد عليها ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة الجمعة: ١٠)، فالإنسان يؤدي فرض الله ثم يسعى ليتكسب الكسب الحلال، وكان الرسول ﷺ لا يأكل إلا من كسب يده، فعمل في رعاية الأغنام في صباه، وعمل في التجارة في شبابه، وعن رفاعة بن رافع: أن النبي ﷺ سئل: أي الكسب أطيب؟ قال: (عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور)، رواه البزار، وصححه الحاكم، وكان ﷺ في بيته، يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته ويخدم في مهنة أهله، فحياة الرسول حافلة بالكفاح والعمل للدارين معا، ويخاطبه ربه بهذا المعنى في أكثر من آية: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (الشرح: ٧)، وقوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩).

وذكر أن العبادة تشمل الدارين معا، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

عدة مستويات

بدوره، قال الدكتور د.أشرف الشامي أستاذ الإعلام بجامعة الأهرام الكندية، إن هناك عدة مستويات للتعامل مع السيرة النبوية، باعتبارها النموذج العملي للإسلام، فأولا إذا تحدثنا على مستوى التعليم في جميع مراحله، فيجب تضمين سيرة النبي ﷺ، في المناهج الدراسية في كل عام، والا تدرس بالشكل النمطي ككتاب تاريخ أو كتاب سيرة، لكن بشكل مختلف، درامي يكتب بصياغة فيها حبكة، فيه تشويق، حسب كل مرحلة، مراحل الطفولة تكون عن طريق القص والحكي بشكل جيد، المراحل الأكبر يكون فيها معاني الدروس والعبر، وكيف نأخذ من هذه السيرة نبراسا لحياتنا في كل شئونها، كذلك الإعلام لابد أن يسلط الضوء على هذا الأمر، من خلال البرامج

د. الشامي: الأسرة ثم التعليم والإعلام النواة الأساسية لتطبيق السيرة.

والندوات والاحتفال بالمناسبات، وإظهار المناسبات المتعلقة بالنبي ﷺ، ويمنح أفراد المجتمع بها إجازة رسمية، بالشكل الذي يبرز هذه الأمور، ويكون هناك وجود للعلماء الثقات للرد على الدعوات التي تخرج وتسيئ للسيرة، فيجب أن تركز وسائل الإعلام على المعاني الحقيقية النقية للسيرة، مع ضرورة وجود علماء ثقات للرد على الشبهات والدعوات الباطلة حين تظهر، بالحجة والبرهان وبالمعلومات الصحيحة، ثم نشرها من خلال رواد مواقع التواصل، الذين يقع عليهم دور أيضا، حتى يعرف الناس السيرة الحقيقية للنبي ﷺ.

وأكمل أن المحضن الأساسي الذي يقع عليه الدور الأكبر في التعامل مع السيرة وترسيخ مفاهيمها، هو الأسرة، لأنه إن لم تقم الأسرة بهذا الدور، فلا تنتظر أن يقوم لها أحد به، لأنه في الأصل الأسرة هي المنوط بها أن تربي الأبناء، والتربية ليست توفير الطعام والشراب والملبس وما إلى ذلك، لكن هناك عدة أمور صرفت الأسر عن ممارسة هذا الدور، مثل الغلاء الذي جعل الآباء ينشغلون بالكسب والعمل، فالأب أصبح يعمل صباحا ومساء، والأم قد تساعد في الإنفاق على الأسرة أو هكذا، إذن أصبح دور الأسرة التربوي مغيبا في هذه الآونة، وأصبح دورها دور رعاية فقط، توفر الطعام والشراب والملبس، وهي الأشياء التي قد يقوم بها بعض الناس حيال الدواب أو الحيوانات، فمن لديه قطة يفعل هذا مثلا، فدور الأسرة مهم جدا، بأن يتم تخصيص لقاء الأسرة، وهم يتناولون الطعام مثلا يحكي موقف عن مواقف السيرة، تتحدث الأسرة عنه، وكل يقول خاطرته والدرس الذي استفاده من الموقف، في إطار توصيل المعلومة وترسيخها.

وتابع الخبير الإعلامي، أنه إذا تحدثنا عن الحكومات فدورها أساسي، عندما نتحدث عن أدوار للتعليم أو للإعلام، فإنها إنما تأتي في ظل الدور الحكومي ومن خلاله، فإن تسليط الضوء الإعلامي على السيرة لا يكون إلا من خلال الحكومات، الأمر الذي قد يكون بعيدا عن الحكومة هو دور الأسرة، لكن جميع الأدوار الأخرى مرتبطة بالحكومة والدور المنوطة به، فإن لم يكن للحكومات والجهات الممثلة لها دور في هذا الإطار، فإن الأمر سيكون صعبا.

عظات ودروس

أخيرا، يقول د. سعيد صادق، أستاذ علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، إن حياة النبي ﷺ، كلها عظات ودروس، لكن المطلوب منا كمجتمع، النظر إلى ما يحتاجه الوقت الحاضر والتركيز عليه وإبرازه، خاصة مع وجود عدة مفاهيم باتت تنتشر، وتكتسب أرضية من خلال اقترانها كذبا بحياة النبي الكريم ﷺ، لأن التعامل في السيرة النبوية قائم على التسامح والتعايش مع اختلاف الأديان والمذاهب، ففي فتح مكة نادى النبي ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» الحديث، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف آية: ٢٩).

وذكر أن الترويج لأمور لا تتوافق مع العصر، ومكذوبة على الإسلام شيء يسيئ إلى الدين الإسلامي الحنيف، خاصة مع لصقها بالحياة النبوية الشريفة، والتي لم يكن بها هذا الذي نسمع عنه ويحدث حاليا، فلابد من التصدي لمروجي هذه المفاهيم، وعدم إفساح المساحات لهم للتعبير عنها.

كما شدد على قيمة التسامح باعتبارها جوهرية في أخلاق المسلم، متسائلا عن كيفية التعامل مع المخالفين، في ظل عدم وجود تسامح، وهناك في حياة النبي ﷺ نماذج عديدة في التعامل مع الزوجة والمخالف ومع الصحابة ومع المجتمع ككل، فعندما كان النبي ﷺ والصحابة جلوسا مرت عليهم جنازة، فقام لها الرسول ﷺ، فقيل إنها ليهودي فرد: «أوليست نفسا؟»، فلابد من تعليم الناس هذه المفاهيم ونشرها بينهم، حتى يتعلموا السيرة الحقيقية للنبي ﷺ، والذي كان نموذجا عمليا لتعاليم الإسلام السمحة في حق الجميع.

وحذر من الانتقائية التي يلجأ إليها البعض، وتصوير مفاهيم بشكل خاطئ من خلال عدة وسائل، وتمريرها للناس على أنها حقيقية، وتعبر عما كان عليه الرسول ﷺ في حياته، مشددا على البحث عن الفهم الصحيح للسيرة والإلمام به، ثم استغلال الوسائل المختلفة في توصيله للناس كي يتبنوه، مشددا على أهمية ضبط الخطاب الديني، وأن نتحدث كمجتمعات عن المشاكل التي تمر بنا حاليا، ومعالجتها بالمضمون الحقيقي بعيدا عن التزييف.